بسم الله الرحمن الرحيم

عَنْ أَبِى أُمَامَةَ قَالَ: دَعَا رَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه وسلم بِدُعَاءٍ كَثِيرٍ لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئًا! قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهَّ: دَعَوْتَ بِدُعَاءٍ كَثِيرٍ لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئًا. فَقَالَ: أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَجْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ تَقُولُ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ بِكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهَّ)).

كان صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو الله عز وجل بأدعية كثيرة جامعة لخصال الخير كلها، بأسلوب بياني ساحر، يأخذ بمجامع القلوب المؤمنة، ويملك مشاعر السامعين ، ويسيطر على أحاسيسهم، فلا يسعهم إلا أن يجتهدوا في تحصيلها وحفظها، ليلهجوا بها خاشعين خاضعين ضارعين أسوة به صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لما عرفوا من أن الدعاء هو العبادة، وهو الترجمة الصادقة للعبودية الخالصة، ومظهر عميق للدلالة على كمال الافتقار إلى الواحد القهار، وقد كان أبو أمامة رضي الله عنه يتتبع دعاء النبي صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو ومن معه من خيرة أصحابه بكل إنصات وإعجاب، ليحفظوه، فلم يستطيعوا ذلك لكثرته، وعرف صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك في وجوههم بنور بصيرته، وقوة فطنته، فعرض عليهم أن يعلمهم دعاء موجزاً بليغاً، فقال صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَجْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ؟))، أي ألا أدلكم على دعاء جامع لما قد سمعتموه مني على كثرته وطوله، ليكون لكم زخراً، تجدون له حلاوة في قلوبكم، وتشعرون بخفته على ألسنتكم، فتشوفت قلوبهم لهذا العرض الذي طالما تمناه هؤلاء الأخيار، فقال: تقول: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ....)) إلى آخر الحديث ، فقوله: (اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ): فيه تفضيل لاختياره صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على اختيار الداعي، لكمال نصحه، وحرصه على المؤمنين من أنفسهم، وهذا الدعاء الجليل، يتضمن كل ما فات الإنسان من أدعيته صلى الله عليه وسلم التي لم تبلغه أو لم يسمع بها، فهو يسأل كل ما سأله صلى الله عليه وسلم بأوجز لفظ، وبأشمل معنى.

(وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ بِكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ)، يدخل فيه كل شر استعاذ منه صلى الله عليه وسلم. دعاء من أجمع الأدعية، إن لم يكن أجمعها، ففيه سؤال كل خير، والاستعاذة من كل شر. وأفضل الخير هو الجنة والأعمال الصالحة المقربة إليها، و أعظم الشرهو النار والمعاصي المقربة إليها، قال المناوي في (فيض القدير): هذا من جوامع الكلم التي استحب الشارع الدعاء بها، لأنه إذا دعا بهذا فقد سأل الله من كل خير، وتعوذ به من كل شر، ولو اقتصر الداعي على طلب حسنة بعينها أو دفع سيئة بعينها كان قد قَصَّر في النظر لنفسه، فهذا الدعاء يكفي عن غيره، وإذا أكثر المسلم من الدعاء به كان على خير عظيم، ولا حرج على المسلم أن يقتصر عليه، إذا لم يقدر على غيره من الأدعية الجوامع، وشق عليه حفظها، وأما مع القدرة، فلا شك أن الأفضل له أن يحفظ ما قد علمه من أدعيته صلى الله عليه وسلم الجوامع، وينوع بينها قدر ما يستطيع، ويدعو لنفسه ـ أيضا ـ بما شاء ، من خير الدنيا والآخرة.

وقد كان الدعاء دين الأنبياء، فهم من أكثر الناس تضرعاً إلى الله تبارك وتعالى، وأعظمهم في ذلك رسولنا صلوات الله عليه وعليهم جميعاً، وقد سار على نهجهم أولياء الله الصالحون من كل أمة، وكان أسبقهم إلى الخيرات الصحابة، ثم التابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين.

فالدعاء هو روح العبادة، ومما لا شك فيه أن الدعاء بالوارد عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولى وأفضل، وأقرب إلى القبول، وأعظم للأجر، وإلا فلماذا حرص أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أن يحفظوا كل ما دعا به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فعلى المسلم أن يتخير منه ما يسهل عليه حفظه، ويخف على لسانه النطق به، ويجد له في قلبه حلاوة، ويكون أصدق تعبيراً على ما يرجوه من ربه عز وجل، وعلى المعلم أن يتعرف حال من يتلقى منه العلم، فيخاطبه على قدر عقله ووعيه، ويعلمه ما هو في حاجة إليه بأسلوب لا يشق عليه فهمه، ولا يصعب عليه تعليمه ، وليس هناك من يدانيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذكائه وفطنته وحكمته وبصيرته، فهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حكيم تفجرت من ينابيعه الحكمة.

وقد ختم هذا الدعاء بقول الداعي:((وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْكَ الْبَلَاغُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ)). وقد تضمن هذا الختام براهين صحة الإيمان وسلامة اليقين.

فهو المستعان الذي يستمد منه العون والتوفيق في جميع الأمور، فقول العبد في آخر دعائه: (وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ) من مراتب الإيمان المستمدة من قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}[الفاتحة: 5]، فمن {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} يكون بدء المقام بالإقرار بمقام العبودية {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} مقام القرب إلى ساحات الجلال والجمال والكمال.

وقوله:(وَعَلَيْكَ الْبَلَاغُ) فمعناه: عليك تحقيق الآمال تفضلاً منك علينا ورحمة بنا.

وقوله: (وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ) لا يتحول حال عن حال إلا بإرادة الله النافذة، وقدرته المنفذة، وهي تعبير صادق عن التسليم الكامل لله عز وجل بكل ما يقدره ويقضي به.

وللدعاء آداب ينبغي مراعاتها، وهي كثيرة نكتفي بذكر أهمها:

1 – أن يدعو العبد بقلبه ولسانه معاً بإخلاص ورجاء صادق.

2 – أن يكون الداعي موقناً بالإجابة، فإن ذلك يجعل دعاءه مقبولاً، يؤجر عليه، وإن لم يُجب فيه، فالإجابة أمر يتوقف على إرادته وحكمته جل شأنه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ)).

3 – أن يقدم بين يدي دعائه شيئا من الحمد والثناء، فعن فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ قال: سَمِعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم رَجُلاً يَدْعُو فِي صَلاَتِهِ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: ((عَجِلَ هَذَا)). ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ: إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ثُمَّ لِيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ لِيَدْعُ بَعْدُ بِمَا شَاءَ)).

4 – ألا يتعجل الإجابة، بل يكل الأمر لخالقه عز وجل ، فقد يكون في تأخير الإجابة خير له، وقد يكون عدم الإجابة أيضاً خيراً له؛ فالإنسان قد يدعو على نفسه، وهو يعتقد أنه يدعو لها. قال تعالى: {وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا}[الإسراء: 11]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، فَيَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي))، وليثق بأن الله لن يخلف وعده معه قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: 186].

5 – ألا يكون في دعائه إثم أو قطيعة رحم؛ فإن ذلك عدوان يمنع قبول الدعاء، والمسلم لا يدعو على أحد بما يؤذيه، بل يدعو لكل الناس بالهداية والتوفيق.

6- أن يتخير المسلم لدعائه الأوقات التي يغلب على ظنه أن الدعاء يستجاب فيها، والتي وردت في فضلها نصوص شرعية كيوم عرفة وشهر رمضان، ويوم الجمعة، ووقت السحر، والوقت الذي بين الأذان والإقامة، وفي السجود، وعقب الصلوات المفروضة وغيرها، ويغتنم وجوده في الأماكن المفضلة كالمسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، وسائر المساجد الأخرى.

7- أن يستقبل القبلة في دعائه، ويرفع يديه إلى أعلى، وكفاه مبسوطتان، ولا يرفع صوته جداً بالدعاء مما يجعله بين المخافتة والرفع. وألا يتكلف السجع في الدعاء،

8- أن يلح في الدعاء ويكرره ثلاثاً، فقد روى مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((كَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلاَثًا. وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلاَثًا)).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين